

زمانه . وعليه أن يعرف الكثير ، فكلما عرف الماضي بشكل أفضل ، كان الحاضر ، واضحاً له ومفهوماً . وهذا يجعله يحس بعمق ثورة زماننا ، بجلالة ، وجسامة أهدافها ومهامها . ومن الضروري ، معرفة تاريخ الشعب ، ومن الضروري أيضاً ، معرفة أفكاره الاجتماعية والسياسية . فلقد برهن العلماء ومؤرخو الثقافة والاثنوغرافيون ، أن هذه الأفكار ، تنداح في الحكايات ، والأساطير ، والأقوال المأثورة ، والأمثال الشعبية . وتعبّر عن أفكار الجماهير الشعبية بشكل عام . وإن الأمثال الشعبية ، والأقوال المأثورة مفيدة ، بشكل خاص للكتاب المبتدئين ، ليس لأنها تعلم اقتصاد الكلمة ، واختصار القول ، والايجاز في العبارة ، هاكم لماذا : إن الأكثرية الساحقة ، من سكان بلاد السوفييت - من الفلاحين ، ومن هذه الطينة ، ولد العمال ، البرجوازيون ، والتجار ، والقساوسة ، والموظفون ، والنبلاء ، والعلماء ، والفنانون . فالتفكير الفلاحي نشأ ورُبي في الكنيسة الحكومية . ولقد بثت تعاليم الكنيسة هذه منذ زمن بعيد ، التفكير بشكل جاهز وجامد .

عندما قرأت كتب "المحافظين" وكتب "المدافعين عن نظام الاستبداد" لم اجد في تلك الكتب جديداً ، لأن في كل صفحة ، كررت من قبلها ، ولكن بشكل مقلوب وكل هذا عرفته منذ الطفولة ، وإنه لمن الواضح ، أن حكمة المحافظين - ليونوف وبويدونتسف وغيرهما ، منغمسة في "حكمة الشعب" التي سيطرت عليها الكنيسة . ومن البديهي ، أن هنالك أقوالاً مأثورة ، وأمثلة شعبية كثيرة ، مغايرة تماماً لما ذكرناه .

وعلى كل حال ، تشكل الأمثال والأقوال المأثورة ، مجازياً ، كامل الحياة الاجتماعية والتاريخية للشعب الكادح . كما الأصابع في الكف . لقد تعلمت الشيء الكثير من الأمثال الشعبية ، وبكلام آخر ، من أفكار الأقوال المأثورة . أتذكر سولداتوف كئاس ، يكنس الشوارع . وذات يوم ، كانت مكنته جديدة ، وغير ملوثة ، فنظر لالي ، وغمز بعينه فرحاً وقال :
"المكنته جيدة ، والأوساخ لا يمكن كنسها تماماً . أنا أنظفها والجيران يأتون بها" .

فهمت حالاً ، الكناس ، قال الصدق ، حتى الجيران ، ولو كسوا أمام بيوتهم ،